# نفحات عطرة من سيرة الإمام زين العابدين عليه السلام

المدرس المساعد
مها محمد احمد
معهد النبأ لتعليم القرآن الكريم – بغداد
zhraa_78@yahoo.com

## المقدمة:

تتسم شخصية الإمام زين العابدين عليه السلام بالتكامل الإنساني الأصيل والذي تجلى لدى جميع الأئمة الأطهار صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، ولذا فقد تكللت مسيرة حياته الكريمة بعظيم الفضائل السامية التي تبلورت في مختلف الأبعاد الأخلاقية والعبادية والسياسية، والتي كانت بمثابة السور الأمين والحصن الحصين للأمة الإسلامية والذي يحمل على حمايتها من الفتن والضياع.

ونتيجة لتلك العوامل تعتبر سيرة الإمام زين العابدين عليه السلام العطرة ثروة قيمة تنهل منها الأمة الإسلامية مكارم الأخلاق والآداب والمعارف والمواعظ وبما يرفع مستواها للوصول إلى أعلى درجات الرقي والتكامل الإنساني، وبالتالي يجب الوقوف على كل محطة من محطات تلك السيرة المباركة بهدف استلهام العبر والمعاني البليغة.

وقد اتبعت الباحثة المنهج التاريخي التحليلي في البحث، كما عمدت إلى تقسيم البحث إلى أربعة مباحث أساسية، حيث تضمن المبحث الأول ((شذرات مضيئة من أخلاق الإمام زين العابدين عليه السلام)) كما تضمن المبحث الثاني ((تأملات في الجانب العبادي لحياة الإمام زين العابدين عليه السلام)) في حين تضمن المبحث الثالث ((تأملات في الجانب السياسي لحياة الإمام زين العابدين عليه السلام)) وأخيراً المبحث الرابع فقد تضمن ((لآلئ مشرقة من بلاغة الإمام زين العابدين عليه السلام)).

## المبحث الأول

## شذرات مضيئة من أخلاق الإمام زين العابدين عليه السلام

لقد اتفق المسلمون على تعظيم الإمام زين العابدين عليه السلام وأجمعوا على الاعتراف له

بالفضل، وقد شهد الأشخاص المعاصرون لزمن الإمام زين العابدين عليه السلام بأخلاقه الفاضلة وفضائله الكريمة سواءً من أخلص له بالود والوفاء أو من أضمر له العداوة والبغضاء، حيث يقول الصحابي الجليل جابر بن عبد الله الأنصاري: ما رؤي في أولاد الأنبياء مثل علي بن الحسين عليه السلام[١]، كما يصفه أحد الفقهاء المشهورين في بلاد الشام والذي يعرف بعدم موالاته لأهل البيت عليهم السلام والذي يدعى بمحمد بن مسلم القرشي الزهري حيث يقول: ما رأيت هاشمياً ولم أدرك في أهل البيت رجلاً أفضل من علي بن الحسين عليه السلام، ويقول أيضاً سعد ابن المسيب وهو من الفقهاء البارزين في يثرب: ما رأيت قط أفضل من علي بن الحسين عليه السلام.

وقد اتسمت شخصية الإمام زين العابدين عليه السلام بالكثير من الصفات التي تشير بوضوح إلى تكامله الإنساني وسلوكه البالغ أعلى مدارج الرقي والكمال، وأهم تلك الصفات ما يأتي:

**١- الحلم:-** لقد كان الإمام زين العابدين عليه السلام من أعظم الناس حلماً وأكظمهم غيظاً، وهناك الكثير من المواقف التي تشير لحلمه حيث يروى أن ذات يوم قام أحدهم بالافتراء عليه وبالغ في سبه فقال له الإمام عليه السلام: ((إن كنا كما قلت فنستغفر الله وإن لم نكن كما قلت غفر الله لك))[٢].

**٢- السخاء:-** لقد أجمع المؤرخون على أن الإمام زين العابدين عليه السلام من أسخى الناس وأنداهم كفاً وأبرهم بالفقراء والضعفاء، ومن أهم النوادر الدالة على فيض جوده وكرمه هي أنه كان يطعم الناس إطعاماً عاماً في كل يوم وقت الظهيرة في داره، كما أنه كان يعول مائة بيت بالسر، كما أنه كان يعمل دائماً على قضاء ديون المسلمين ممن لا يستطيعون قضائها، ولكنه عندما لا يجد مالاً لقضاء ديونهم يتألم ويبكي ويقول: ((أي مصيبة أعظم على حر من أن يرى بأخيه المؤمن خلة فلا يمكنه سدها))[٣]، كما كان عليه السلام كثير التصدق إذ أنه كان يتصدق بثيابه للفقراء ويتقاسم معهم أمواله، كما أنه كان يحمل صدقاته إليهم سراً في الليل حيث كانوا إذا رأوه تباشروا وقالوا: جاء صاحب الجراب، ولم يعلم أحداً هويته حتى استشهاده عليه السلام حيث كانوا يقولون: ما فقدنا صدقة السر حتى مات علي بن الحسين[٤].

**٣- الإباء وعزة النفس:** لقد كان الإمام زين العابدين عليه السلام يقول دائماً: ((من كرمت عليه نفسه هانت عليه الدنيا))، ويذكر المؤرخون أن أحد الأشخاص أخذ من الإمام حقوقاً له على غير وجه حق وكان الإمام عليه السلام في مكة أثناء موسم الحج بينما كان الوليد بن عبد

الملك حينئذٍ متربع على كرسي الخلافة فقال له أحد أصحابه: لو سألت الوليد أن يرد عليك حقك؟ فقال له كلمته الخالدة: ((ويحك أفي حرم الله عزّ وجل أسأل غير الله عزّ وجل؟! إني آنف أن أسأل الدنيا من خالقها فكيف أسألها من مخلوقٍ مثلي؟!))[٥].

**٤- الزهد:** لقد اشتهر الإمام زين العابدين عليه السلام في عصره أنه كان من أزهد الناس حتى أنه كان يلقب بلقب (قدوة الزاهدين)، وقد سُأل الزهري ذات يوم عن ازهد الناس فأجاب: علي بن الحسين عليه السلام، ويرى أنه ذات يوم رأى رجلاً يبكي فتألم له وهو يقول: ((لو أن الدنيا كانت في كف هذا ثم سقطت منه لما كان ينبغي له أن يبكي عليها، وقد كان عليه السلام يعظ الناس دائماً بالزهد ويزهدهم في الدنيا ويرغبهم بأعمال الآخرة، حيث كان يجمعهم في كل يوم جمعة في مسجد الرسول صلى الله عليه وآله ويقول لهم: ((اتقوا الله عباد الله، واعلموا أن الله عزّ وجل لم يحب زهرة الدنيا وعاجلها لأحدٍ من أوليائه ولم يرغبهم فيها وفي عاجل زهرتها وظاهر بهجتها وإنما خلق الدنيا وأهلها ليبلوهم فيها أيهم أحسن عملاً لآخرته))، وهذا ما يوافق قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾[٦]، وأيضاً قوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾[٧].

**٥- البر بأهله:** لقد كان الإمام زين العابدين عليه السلام شديد البر بأهله، حيث كان عليه السلام يساعدهم بشؤونهم وحوائجهم البيتية ولا يأمر أحداً منهم فيما يتعلق بشؤونه الخاصة، كما كان عليه السلام شديد البر بمربيته وقد بلغ جميل بره بها أنه امتنع أن يأكل معها فقيل له: أنت أبر الناس وأوصلهم رحماً فلماذا لا تأكل مع أمك؟ فقال عليه السلام: ((أخشى أن تسبق يدي إلى ما سبقت إليه عينها فأكون عاقاً لها))[٨]، ولقد كان الإمام زين العابدين عليه السلام شديد الاهتمام بأهله إذ كان يقول دائماً: ((لئن أدخل إلى السوق ومعي دراهم ابتاع بها لعيالي لحماً وقد قرموا[٩] أحب إلي من عتق نسمة))، وكان عليه السلام يبكر في طلب الرزق لعياله ويقول: ((أتصدق لعيالي قبل أن أتصدق على الناس من طلب الحلال فإنه من الله عزّ وجل صدقة عليهم)).

**٦- الشجاعة:** لقد اتسمت شخصية الإمام زين العابدين عليه السلام بالشجاعة الفائقة وقد تجلت تلك الصفة بوضوح عندما أراد القتال إلى جانب أبيه سيد الشهداء عليه السلام في يوم عاشوراء على الرغم من مرضه الشديد فمنعه والده عن القتال لأنه كان يرى فيه بقية النبوة

وآثار آل محمد صلى الله عليه وآله، كما تجلت شجاعته في العديد من المواقف بعد واقعة كربلاء كموقفه أمام أهل الكوفة وهم مكبل بالقيود حيث قال: ((هيهات هيهات أيها الغدرة المكرة حيل بينكم وبين شهوات أنفسكم))، وموقفه أمام عبيد الله بن زياد والي الكوفة حين أراد قتله حيث قال عليه السلام: ((أبالقتل تهددني يبن زياد؟! أما علمت أن القتل لنا عادة وكرامتنا من الله الشهادة؟))، وموقفه من خطيب السوء في مجلس يزيد بن معاوية حيث قال عليه السلام: ((ويلك أيها المتكلم اشتريت رضا المخلوق بسخط الخالق فتبوأ مقعدك من النار))، وموقفه أمام يزيد بن معاوية حيث قال عليه السلام: ((يبن معاوية وهند وصخر. لم تنزل النبوة والإمرة إلا لآبائي وأجدادي من قبل أن تولد ولقد كان جدي علي بن ابي طالب في بدر وأحد والأحزاب في يده راية رسول الله صلى الله عليه وآله وأبوك وجدك في أيديهما راية الكفار)).

**٧- الصبر:** لقد كان الصبر من أعظم مكارم أخلاق الإمام زين العابدين عليه السلام، إذ أنه قد صبر على جميع المكاره التي مرت به، فقد صبر على قتل أبيه وأعمامه وإخوته وأهل بيته، كما صبر على مسيرة السبي مع حرم رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد بقيت تلك الأحداث تتفاعل معه حتى استشهاده بعد أربع وثلاثين سنة من واقعة كربلاء[١٠]، وقد كان يقول دائماً: ((إنما أشكو بثي وحزني إلى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون))[١١].

تعكس الصفات السابقة جانباً مشرقاً من أخلاق الإمام زين العابدين عليه السلام والتي تجسدت بشكلٍ بديع لم يتجلى في سلوكه وحسب وإنما ارتسم في أدعيته البليغة والتي شكلت قانوناً أخلاقياً يستند إليه الأفراد في التعامل مع الله سبحانه وتعالى والتعامل مع النفس والتعامل مع الآخرين حيث سعى الإمام من خلال تلك الأدعية توضيح ما يأتي:

١- كيفية التعامل مع الله سبحانه وتعالى:- إذ ينبغي في كل الأحوال تمجيد الله وتعظيمه وحمده وشكره في السراء والضراء، وذكر الله تعالى واستحضاره في وقت، هذا فضلاً عن مخاطبته بكل خشوع وتذلل واستكانة.

٢- كيفية التعامل مع النفس:- إذ ينبغي مخالفة النفس في ما تريده من الشهوات والمعاصي بهدف الوصول إلى التكامل الإنساني، كما يجب الاستعانة بالله تعالى والإخلاص له بالدعاء في الثبات ومقاومة النفس الأمارة بالسوء.

٣- كيفية التعامل مع الآخرين:- إذ ينبغي الاستعانة بالله تعالى وطلب توفيقه في التحلي بالأخلاق الفاضلة عند التعامل مع الآخرين ورعاية حقوقهم [١٢].

كما أن من روائع اهتمام الإمام زين العابدين عليه السلام بالجانب الأخلاقي هو تخصيص بعض الأدعية بشكل مطلق للأخلاق وأهم تلك الأدعية هي الدعاء الثامن من الصحيفة السجادية "الاستعاذة من المكاره وسيء الأخلاق ومذام الأفعال"[١٣]، والدعاء العشرون من الصحيفة السجادية "مكارم الأخلاق ومرضي الأفعال"[١٤]، وهذا إن دل على شيء فهو يدل على عظمة الجانب الأخلاقي في الدين الإسلامي ومدى اهتمام أهل البيت عليهم السلام بإحياء ذلك الجانب ورعايته.

## المبحث الثاني

## تأملات في الجانب العبادي لحياة الإمام زين العابدين عليه السلام

لقد كان الإمام زين العابدين عليه السلام أكثر الناس عبادةً، وقد كان يلقب بالكثير من الألقاب التي تدل على كثرة عبادته كزين العابدين وسيد العابدين وزين الصالحين ومنار القانتين والخاشع والمتهجد والعابد[١٥]، كما كان يلقب أيضاً بذي الثفنات لما كان في وجهه من أثر السجود، إذ أنه كان عليه السلام لم يفرغ من صلاة مفروضة إلا وسجد، ولم يذكر نعمة لله عزّ وجل عليه إلا وسجد، ولم يذكر دفع الله عزّ وجل للسوء عنه إلا وسجد، وقد كانت آثار السجود واضحة في جميع مواضع جسده ولذا لُقب عليه السلام بالسجاد [١٦].

وقد شهد الكثير من الأشخاص المعاصرون لزمن الإمام زين العابدين عليه السلام على كثرة عبادته وورعه، حيث يروى أن أحد الفقهاء البارزين في يثرب والذي يُدعى سعد بن المسيب كان دائماً يقول عن الإمام زين العابدين عليه السلام: ((هذا سيد العابدين ما رأيت أورع منه)).

وقد اتسمت شخصية الإمام السجاد بالكثير من الصفات التي تبين مدى ورعه وشدة اهتمامه بعبادة الله تعالى وأهم تلك الصفات:

١- **الخشوع:** لقد كان الإمام زين العابدين عليه السلام يصفر لونه عند الوضوء، فيقول له أهله: ما هذا الذي يعتريك عند الوضوء؟ فيجيبهم قائلاً: ((أتدرون بين يدي من أقوم؟))[١٧]، كما كان عليه السلام تأخذه الرعدة إذا أراد الشروع بالصلاة فيسألونه عن ذلك فيجيب: ((أتدرون بين

يدي من أقوم ومن أناجي؟))، وكان عليه السلام يقف في صلاته موقف العبد الذليل بين يدي الملك الجليل، وكان الإمام الباقر عليه السلام يصف خشوع والده في الصلاة فيقول: ((كان علي بن الحسين إذا قام إلى الصلاة كأنه ساق شجرة لا يتحرك منه شيء إلا ما حركت الريح منه)).

**٢- كثرة العبادة:-** لقد أجمع العلماء على أن الإمام زين العابدين عليه السلام كان يصلي في اليوم والليلة ألف ركعة، وقد كان عليه السلام يملك خمسمائة نخلة فيصلي عند كل نخلة منها ركعتين(١٨).

وقد بلغت عبادة الإمام زين العابدين عليه السلام من الكثرة لدرجة أنها أجهدته، وقد بلغ به الضعف من شدة العبادة بأن الريح كانت تميله يميناً وشمالاً كالسنبلة، وقد أشفق عليه أهله ومحبوه لكثرة ما بان عليه من الضعف والجهد لكثرة عبادته فكلموه بشأن ذلك لكنه عليه السلام قد أصر على شدة تعبده لله تعالى حتى يلحق بآبائه الطاهرين، ويروى أن جابر بن عبد الله الأنصاري قال للإمام زين العابدين عليه السلام: يبن رسول الله أما علمت أن الله تعالى إنما خلق الجنة لكم ولمن أحبكم وخلق النار لمن أبغضكم وعاداكم فما هذا الجهد الذي كلفته نفسك؟ فأجابه الغمام عليه السلام قائلاً: ((يا صاحب رسول الله أما علمت أن جدي رسول الله صلى الله عليه وآله قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فلم يدع الاجتهاد وتعبد بابي وأمي حتى انتفخ ساقه وورم قدمه وقد قيل له أتفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال صلى الله عليه وآله: أفلا أكون عبداً شكوراً؟))(١٩).

كما يروى أن الإمام زين العابدين عليه السلام كان ذات يوم يتعبد مناجياً ربه ثم خر ساجداً فأقبل إليه طاووس الفقيه فقال له: يبن رسول الله ما هذا الجزع والفزع ونحن من يلزمنا أن نفعل هذا ونحن عاصون جانون، أبوك الحسين بن علي وأمك الزهراء وجدك رسول الله صلى الله عليه وآله؟ فأجابه الإمام عليه السلام قائلاً: ((هيهات هيهات لك يا طاووس دع عني حديث أبي وأمي وجدي، خلق الله الجنة لمن أطاعه وأحسن ولو كان عبداً حبشياً وخلق النار لمن عصاه ولو كان سيداً قرشياً، أما سمعت قوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾(٢٠) والله لا ينفعك غداً إلا تقدمةٌ تقدمها من عمل صالح))(٢١).

**٣- كثرة تلاوة القرآن الكريم:-** لقد كان الإمام زين العابدين عليه السلام يتلو القرآن الكريم بكثرة، وقد كان من حبه وشغفه بالقرآن الكريم أنه كان يقول: ((لو مات ما بين المشرق

والمغرب لما استوحشت بعد أن يكون القرآن معي)). ولم يقتصر انشغاله بالقرآن الكريم على تلاوته وحفظه وتفسيره والتدبر في معانيه، بل كان أحسن الناس صوتاً في تلاوة القرآن الكريم وقد كان السقائون الذين يمرون ببابه يقفون لاستماع صوته الشجي[٢٢]. ولقد كان عليه السلام يقول في فضل القرآن الكريم في الدعاء الثاني والأربعين من الصحيفة السجادية "دعاء ختم القرآن"[٢٣].

: ((اللهم صل على محمد وآل محمد واجبر بالقرآن خلتنا من عدم الإملاق وسُق إلينا به رغد العيش وخصب سعة الأرزاق وجنبنا به الضرائب المذمومة ومداني الأخلاق واصمنا به من هوة الكفر ودواعي النفاق حتى يكون لنا في يوم القيامة إلى رضوانك وجنانك قائدا ولنا في الدنيا عن سخطك وتعدي حدودك ذائداً ولما عندك بتحليل حلاله وتحريم حرامه شاهداً))[٢٤].

**٤- البكاء من خشية الله تعالى:-** لقد كان الإمام زين العابدين عليه السلام كثير البكاء من خشية الله تعالى، وقد كان يطيل في سجوده في الصلاة ولا يرفع رأسه حتى يبلل وجهه ولحيته الشريفة من دموعه [٢٥]، ولهذا كان يُلقب بالبكاء [٢٦].

**٥- إحياء الليل:-** لقد كان الإمام زين العابدين عليه السلام يحيي لياليه بالدعاء والتهجد والعبادة ومناجاة الله عزوجل، وقد كان ملازماً لأدعية السحر طيلة ليالي عمره الشريف، كما كان ملازماً لنافلة الليل ولا يتركها في السفر أو الحضر حتى في ليلة الحادي عشر من المحرم بعد واقعة الطف الأليمة، وكان يقضي ما فاته من نوافل النهار في الليل ويقول: ((هذا ليس عليكم بواجب ولكن أحب لمن عود منكم نفسه عادةً من الخير أن يدوم عليها))[٢٧]. وقد كانت مولاته تقول: ما فرشت له بالليل قط ولا أتيته بطعامٍ في النهار قط[٢٨].

وبالتالي نلاحظ مدى اهتمام الإمام زين العابدين عليه السلام بالعبادة حيث إن الصفات السابقة تعكس مدى ولعه وشغفه بعبادة الله عزّ وجل، كما يتجلى المقام الرفيع لعبودية الإمام زين العابدين عليه السلام من خلال أدعيته التي تأسر الفؤاد، إذ أنه كان دائماً يناجي الله تعالى بلهجة الخشوع والتذلل والاستكانة، هذا فضلاً عن التركيز على الثناء على الله عزّوجل وحمده في جميع الأحوال والإخلاص وحده، ويدل ذلك على مدى خشوع الإمام زين العابدين عليه السلام واستشعاره لعظمة الله تعالى وهيبته[٢٩].

## المبحث الثالث

## تأملات في الجانب السياسي لحياة الإمام زين العابدين عليه السلام

لقد كانت الفترة السياسية التي تلت استشهاد الإمام الحسين عليه السلام والثلة الطاهرة من أصحابه في واقعة كربلاء فترة حرجة جداً وكان لا بد من التصدي لشؤون الدولة السياسية بحكمة خالصة لا يتمتع بها إلا الأمام المعصوم، وبالتالي نلاحظ أن الإمام زين العابدين عليه السلام قد اختلف في أسلوبه في قيادة الحركة الإسلامية عن أبائه الطاهرين ويبدو ذلك واضحاً من خلال إجابته عن سؤال عباد البصري وهما على طريق مكة في موسم الحج: تركت الجهاد وصعوبته وأقبلت على الحج ولينه والله تعالى يقول: ((إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم)) [٣٠] فأجابه الإمام عليه السلام قائلاً: ((اقرأ بعدها: ((التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين)) [٣١] إذا ظهر هؤلاء - أي المؤمنين حسب صفاتهم في الآية - لم نؤثر على الجهاد شيئاً))، وبهذه الإجابة حدد الإمام سياسته ولون كفاحه وكيفية مواجهته وحركته في عصره، وبالتالي فإن عدوله عن الكفاح المسلح والمواجهة العسكرية للنظام الأموي لم تكن حباً للحياة ونعيمها كما تصور الكثيرون من الأشخاص المعاصرين للإمام، وإنما كانت لأن مستلزمات العمل العسكري الناجح غير متوفرة ولأن النتائج من أي تحدٍ للحاكم في تلك الظروف ستكون عكسية تماماً[٣٢].

كما أن الإمام زين العابدين عليه السلام كان يعيش في ظل ظروف مضطربة تفرض عليه انتهاج مبدأ التقية، حيث وردت رواية عنه عليه السلام يقول فيها: ((من ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كمن ترك القرآن وجفاه إلا من كان في تقية يخاف جباراً عنيداً أن يفرط عليه أو يطغى))[٣٣].

ولكن على الرغم من عدم تمكن الإمام زين العابدين عليه السلام من اتباع الأسلوب العسكري في جهاده، إلا أن حياته كانت زاخرة بالمواقف السياسية والتي استهدف منها بشكلٍ أساسي إسقاط النظام الأموي وكشف زيفه أمام أفراد المجتمع بشكلٍ عام، هذا فضلاً عن توعية الناس وتوضيح الحقائق لهم، وقد نجح الإمام زين العابدين عليه السلام في تحقيق أهدافه من خلال تلك المواقف النبيلة ويمكن توضيح ذلك كما يأتي:

**١- إلقاء الخطبة في مجلس يزيد:-** لقد قام الإمام زين العابدين عليه السلام بإلقاء خطبته المشهورة في مجلس يزيد بن معاوية في الشام، وقد كان ذلك بهدف إسقاط القناع عن الأمويين وكشف ملابسات السياسة الخطيرة التي انتهجوها في إدارة الدولة، وقد ركز الإمام عليه السلام في تلك الخطبة على التعريف بالسبايا ومدى قرابتهم من رسول الله صلى الله عليه وآله والذي أوصى دائماً بقوله المذكور في القرآن الكريم: ﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾[٣٤]، ولقد كان لتلك الخطبة أثراً بالغاً في نفوس الناس حيث تصاعدت ردود الفعل والاحتجاجات على ما فعله يزيد بعترة رسول الله صلى الله عليه وآله من قتله للحسين عليه السلام والخيرة الطاهرة من أهله وأصحابه وسبي نسائه، مما دفع يزيد إلى قيامه بالإفراج عنهم وأمر النعمان بن بشير بأن يردهم إلى يثرب وأن يقوم بإخراجهم ليلاً خوفاً من الفتنة واضطراب الأوضاع [٣٥]، وقد هدف الإمام زين العابدين عليه السلام في تلك الخطبة إلى ما يأتي:

أ. تذكير الناس بعترة رسول الله صلى الله عليه وآله.

ب. شرح الوقائع التي وقعت في العاشر من المحرم الحرام والتي كان محورها يدور حول قتل الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه وهتك حرمة آل الرسول صلى الله عليه وآله.

ج. إدانة الناس على تخاذلهم عن نصرة آل الرسول صلى الله عليه وآله وغدرهم وخيانتهم للعهود والمواثيق معهم.

د. مواجهة الحكام الطغاة بصلابة الحق وقوته من خلال الحجج البينة.

هـ. إحباط مخططات بني أمية ومحاولاتهم في إذلال أهل البيت عليهم السلام.

وقد تمكن الإمام زين العابدين عليه السلام من تحقيق جميع تلك الأهداف التي سعى إليها من خلال قلب الموازين وسحب الشرعية من الخليفة الجائر المتعدي لحدود الله تعالى والقائم على هتك حرمة آل الرسول الأطهار عليهم السلام [٣٦]، إذ أن تلك الخطبة ساهمت في اندثار جميع السياسات المضللة التي روجتها السياسية الأموية والتي تركزت على أن الأسرى من الخوارج، وبالتالي استمر الإمام عليه السلام بتلك الخطة المدروسة بكل حكمة وتدبير مما أدى إلى أن يكون جهاده بالكلام أبلغ وأقوى أثراً من الجهاد بالسيف ولا سيما أن الظروف التي كانت متوفرة للإمام الحسين عليه السلام لتوعية الأمة من خلال واقعة كربلاء لم تعد متوفرة للإمام

زين العابدين[٣٧].

وخير دليل على تركيز الإمام على سياسة الجهاد بالكلام هو مخالفته لآراء الحكماء في أن السكوت أفضل من الكلام حيث كان يقول: ((الكلام أفضل من السكوت))، وحين سُئل عن سبب مخالفته لآراء الحكماء قال عليه السلام: ((لأن الله عزّ وجل ما بعث الأنبياء والأوصياء بالسكوت وإنما بعثهم بالكلام ولا استحقت الجنة بالسكوت ولا استوجبت ولاية الله بالسكوت ولا توقيت النار بالسكوت ولا يجنب سخط الله بالسكوت إنما كله بالكلام وما كنت لأعدل القمر بالشمس! إنك تصف فضل السكوت بالكلام ولست تصف فضل الكلام بالسكوت))، وهكذا طبق الإمام زين العابدين عليه السلام هذه الحكم البالغة وأدى رسالته في فضح أكاذيب بني أمية[٣٨]. وقد استمد الإمام زين العابدين عليه السلام ذلك المنهج من جدته الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء والتي ركزت بشكل أساسي على إلقاء الخطب التي تبين واقع الحال وتكشف زيف وأكاذيب الحكومة المفتعلة آنذاك والتي تم الاستيلاء عليها من قبل أبو بكر وأعوانه[٣٩]، وقد كانت الخطبة الفدكية من أهم الخطب التي ألقتها الزهراء عليها السلام والتي استهدفت فيها إزالة القناع عن حقيقة المستأثرين بنظام الحكم وتوضيح مخالفتهم الصريحة لأحكام الله ووصايا رسوله الكريم صلى الله عليه وآله[٤٠]، هذا فضلاً عن إثبات حق الإمام علي عليه السلام بالولاية الكبرى وتأليب الأنصار لصالحه[٤١]، وقد نجحت الزهراء عليها السلام بتحقيق تلك الأهداف إلا أن أبي بكر قد عمد إلى محاربة الأمة اقتصادياً وتهديد الأفراد بالسجن والقتل وشراء الذمم بالأموال[٤٢]، هذا فضلاً عن خذلان الأنصار وعدم مبايعتهم للإمام علي عليه السلام ونكث عهودهم له[٤٣].

**٢- إدانة النظام السياسي الأموي:-** لقد سعى الإمام زين العابدين عليه السلام إلى إدانة النظام الأموي وبيان مدى فظاعة جرائمه، وقد تجلى ذلك بوضوح من خلال ما طلبه الإمام السجاد عليه السلام من يزيد بعد واقعة الطف ومسيرة السبي حيث طلب رؤية وجه أبيه الذي قتل ظلماً وعدواناً، إلا أن يزيد قد رفض ذلك وبالتالي نستنتج ما يأتي:

أ. إقدام بني أمية على جريمة شنعاء عظيمة ألا وهي قتل فلذة كبد رسول الله صلى الله عليه وآله.

ب. طغيان بني أمية وتماديهم في جرائمهم إلى حد منع ذرية الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته الأطهار من رؤية وجهه الشريف.

كما طلب الإمام زين العابدين عليه السلام من يزيد أن يقوم بإرجاع ما استلبه جيشه من النساء بعد واقعة الطف من دون وجه حق، إلا أن يزيد رفض ذلك أيضاً وبالتالي نستنتج ما يأتي:

أ. إقدام بني أمية على سلب النساء بعد واقعة الطف بطريقة وحشية وبالتالي هتك حرمتهن والاعتداء على خصوصيتهن ولاسيما أن ما استلب منهن يحمل مواريث الأنبياء وخصوصيات سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام.

ب. تمادي بني أمية واصرارهم على عدم إعادة ما استلبوه من النساء واعتباره غنائم حرب(٤٤).

كما طلب الإمام زين العابدين عليه السلام من يزيد أن يرسل مع النسوة من يرافقهم إلى مدينة رسول الله صلى الله عليه وآله إذا كان يريد قتله، فقام يزيد بالإفراج عنهم جميعاً وارسل من يرافقهم إلى يثرب، ولكن نستنتج من طلب الإمام عليه السلام أن يزيد كان ينوي قتل الإمام والدليل تخويله الصلاحيات للجيش الأموي لفعل ذلك، إلا أنه امتنع عن ذلك لئلا تتصاعد ردود فعل الأفراد بشكل يخرج عن السيطرة ويؤدي إلى الإطاحة بالنظام الأموي، وبالتالي فقد كان يزيد مجبراً على الإفراج عن الإمام زين العابدين عليه السلام وإرساله مع حرم رسول الله صلى الله عليه وآله ، ولا شك أن في ذلك حكمة إلهية بالغة لحفظ الإمام عليه السلام فهو حجة الله تعالى في أرضه.

**٣- مخاطبة أهل المدينة بعد العودة من الشام:-** لقد قام الإمام زين العابدين عليه السلام بعد عودته من الشام بمخاطبة أهل المدينة وتوضيح المظلومية التي لحقت بأهل البيت عليهم السلام من قتل الإمام الحسين عليه السلام والثلة الطاهرة من أصحابه والتمثيل بهم وسبي نسائهم وتشريدهن ومعاملتهن بصورة مهينة، ولقد هدف الإمام زين العابدين عليه السلام من ذلك الخطاب استنهاض الروح الثورية لدى أهل المدينة وتحريكها ضد الظلم والجبروت الأموي، ولقد كان لذلك الخطاب تأثيراً كبيراً في توليد الوعي لدى أفراد الأمة وقد تجلى ذلك بوضوح من خلال اضطراب الأوضاع السياسية في المدينة وقيام يزيد باستبدال ثلاثة ولاة خلال عامين فقط وذلك في محاولة منه لتهدئة الأوضاع (٤٥). وهذا ما يذكرنا بتأثير خطاب الزهراء عليها السلام عند عيادتها من قبل نساء المهاجرين والأنصار والذي استهدفت فيه استنهاض الروح الثورية للمهاجرين والأنصار من خلال مخاطبتهم بأسلوب شديد اللهجة ينطوي على اللوم والتقريع، هذا فضلاً عن التأكيد على حق الإمام علي عليه السلام بالولاية الكبرى وبيان

صفاته التي تؤهله لذلك المقام القيادي ومقارنة تلك الصفات مع صفات الجاحدين الذين قاموا بإقصائه عن ذلك المقام [٤٦]، حيث حمل ذلك الخطاب تأثيراً كبيراً أدى إلى توليد الوعي لدى الناس وادراك مدى خطأهم الفادح في مساندة السلطة الحاكمة التي لا تعترف بها أسرة رسول الله صلى الله عليه وآله، وبالتالي نشأت حالة من الاضطراب وعدم الاستقرار في الأوضاع السياسية، مما دفع رجال السلطة إلى القيام بمحاولة تغطية أعمالهم وتحسين صورتهما إعلامياً في المجتمع وذلك من خلال زيارتهم للزهراء عليها السلام ومحاولة استرضائها [٤٧].

**٤- الموافقة على ثورة المختار الثقفي:-** لقد قام الإمام زين العابدين عليه السلام بالموافقة على ثورة المختار الثقفي ضد الأمويين والتي رفعها المختار تحت شعار (يالثارات الحسين)، ولكن نتيجة للظروف العصيبة التي كانت سائدة آنذاك لم تكن موافقة الإمام على تلك الثورة موافقة علنية بل كانت موافقة مكنونة في طيات إجابة الإمام للمختار حيث قال عليه السلام: ((لو أن عبداً زنجياً تعصب لنا أهل البيت لوجب على الناس مؤازرته))، ولقد كان لتلك الموافقة نتائج مثمرة حيث استطاع المختار أن يستقطب كبار الشيعة كإبراهيم بن مالك الأشتر وغيره، كما انه تمكن من قتل أعداء أهل البيت عليهم السلام كعبيد الله بن زياد وعمر بن سعد وشمر بن ذي الجوشن وحرملة بن كاهل الأسدي، وخير دليل على إثبات شرعية تلك الموافقة هو كلام الإمام عليه السلام بعد إرسال المختار لرأسي عبيد الله بن زياد وعمر بن سعد إلى الإمام بعد قتلهما حيث سجد عليه السلام وقال: ((الحمد لله الذي أدرك لي ثأري من اعدائي وجزى الله المختار خيراً))[٤٨].

**٥- الجهاد الفكري والسياسي:-** لقد كان للنهضة الفكرية التي أوجدها الإمام زين العابدين عليه السلام دوراً أساسياً في تثقيف المجتمع زرع روح التضحية والجهاد لدى أفراد الأمة، هذا فضلاً عن بلورة المواقف ضد الحكم الأموي[٤٩]، ولا سيما أن الفكر السليم هو من أهم مقومات الحركة السياسية الصحيحة، وبالتالي لا بد من توعية الأفراد وتثقيفهم ليكونوا على معرفة تامة بجميع الحقائق وعلى اطلاع تام لمجريات الأمور كي لا يسقطوا في فخ الاحتيال والتدليس والخداع الذي تنصبه الانظمة الحاكمة الفاسدة والتي تصطنع من علماء السوء رجالاً مقنعين بالعلم وملجمين بلباس الدين ليكونوا وسائل مناسبة لإقناع العامة بصحة ما تتبعه الأنظمة الحاكمة من الأحكام الباطلة والقضايا المنافية للحق، هذا فضلاً عن تزييف الأديان وتحريفها بالبدع والانحرافات وبث التعاليم الباطلة والعمل على ترويجها، وبالتالي

فقد بذل الإمام زين العابدين عليه السلام جهوداً جبارة في التصدي لتلك الأحكام والعقائد الزائفة ويمكن توضيح ذلك كما يأتي:

أ - التصدي لفكرة التشبيه:- حيث تتركز تلك الفكرة حول تجسيم الله سبحانه وتعالى وتشبيهه بسائر المخلوقات، وهناك الكثير من المواقف التي توضح رفض الإمام عليه السلام لتلك الفكرة وتصديه لها، حيث يروى أن الإمام زين العابدين عليه السلام كان في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله في أحد الأيام فسمع قوماً يشبهون الله بخلقه ففزع لذلك وارتاع له ونهض حتى أتى قبر الرسول صلى الله عليه وآله فوقف عنده ورفع صوته بالدعاء قائلاً: ((إلهي بدت قدرتك ولم تبد هيبة جلالك فجهلوك وقدروك بالتقدير على غير ما أنت به مشبهوك وأنا بريء يا آلهي من الذين بالتشبيه طلبوك ليس كمثلك شيء يا إلهي ولن يدركوك واتخذوا بعض آياتك رباً فبذلك وصفوك فتعاليت يا إلهي عما به المشبهون نعتوك))، وبالتالي يعد كلام الإمام زين العابدين دليلاً واضحاً على استنكار تلك الفكرة المنحرفة واستهجان أولئك القوم الذين تعمدوا الحضور إلى المسجد النبوي وتجرأوا على إعلان الكفر والإلحاد [٥٠].

ب - التصدي لفكرة الجبر الإلهي:- حيث ركز بني أمية على تعميم تلك الفكرة لدى الأفراد بهدف التمكن من السيطرة عليهم والهيمنة على أفكارهم بحجة أن الأفراد ليسوا مخيرين بل مسيرين في كل الأمور وبإجبار من الله [٥١]، وأهم المواقف التي تبين تصدي الإمام لتلك الفكرة المنحرفة هو موقفه أمام عبيد الله بن زياد الذي أراد نسب قتل علي الأكبر عليه السلام إلى الله تعالى فرد عليه الإمام زين العابدين عليه السلام قائلاً: ((إن الله يتوفى الأنفس حين موتها))، وبالتالي تحدى الإمام عليه السلام للحاكم الظالم برده على الانحراف العقائدي في الجبر الإلهي من خلال توضيح الفرق بين توفي الله للأنفس حين حلول أجلها وبين القتل وإزهاق الروح من قبل القاتل قبل حلول الموت. كما قام الإمام زين العابدين عليه السلام بجهود كبيرة في سبيل نقل الروايات الصحيحة عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله بأسانيدها الصحيحة، هذا فضلاً عن توضيح الأحكام الفقهية لسائر العبادات ولا سيما في وقت كثر فيه الكذب والافتراء ونسبة الأحاديث المزورة إلى الرسول صلى الله عليه وآله [٥٢]، كما كان الإمام عليه السلام يأمر برواية الحديث ويحث على ذلك وكان يعمل على تطبيق السنة والدعوة إلى العمل بها، هذا فضلاً عن الدعوة إلى الاعتصام بالقرآن الكريم وحفظه والعمل على إرشاد الناس من خلال تفسيره المبارك [٥٣]، وكان عليه السلام يقول في فضل قراءة القرآن الكريم: ((عليك بالقرآن فإن الله

خلق الجنة بيده لبنة من ذهب ولبنة من فضة وجعل ملاطها المسك وترابها الزعفران وحصاها اللؤلؤ وجعل درجاتها على قدر آيات القرآن فمن قرأ منها قال له: اقرأ وارقى ومن دخل الجنة لم يكن في الجنة أعلى درجة منه ما خلا النبيين والصديقين))[٥٤].

**٦- البكاء المتواصل على الإمام الحسين عليه السلام:-** لقد قضى الإمام زين العابدين عليه السلام جميع أيام حياته بعد استشهاد أبيه الإمام الحسين عليه السلام بالبكاء الشديد والمتواصل لتلك المصيبة التي هزت أركان السموات والأرض، وهذا البكاء المتواصل لم يكن لمحض الرقة والعاطفة فحسب كما يظن الكثيرون، وإنما كان الإمام زين العابدين عليه السلام يهدف إلى تحقيق غاية سامية من ذلك البكاء آلا وهي تعريف الأجيال المتعاقبة بهذا الخطب الجليل لسيد الشهداء عليه السلام وتوعيتهم لمدى انحراف ووحشية الأمويين وبيان مخالفتهم الصريحة لأحكام الدين والشريعة وتنمرهم تجاه العدل والمساواة والإنسانية، وبالتالي كان الإمام زين العابدين عليه السلام يؤجج ثورة الحق في أفئدة الناس ضد أولئك الطغاة الذين ارتكبوا أبشع الجرائم الفظيعة، إذ أن البكاء الشديد وعلى تلك الوتيرة المتواصلة يوجب إلفات نظر الناس إلى الأسباب الداعية إليه، وبذلك ستتجلى لهم الحقائق ويتشكل لديهم الوعي الكافي حول الزمرة الظالمة التي انتهكت حقوق أهل البيت عليهم السلام وحقوق سائر أفراد الأمة على الرغم من ادعائها باتباع الأحكام الإسلامية والسير على نهج الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله والذي أوصى بحفظ قرابته ومودتهم وكما هو مذكور في قوله تعالى: ﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾[٥٥]، وقد كان الإمام زين العابدين عليه السلام إذا أخذ الإناء ليشرب الماء يذكر عطش أبيه الإمام الحسين عليه السلام ومن معه فيبكي حتى يمزج الماء بدموعه فيسأله أصحابه عن ذلك فيجيبهم قائلاً: ((كيف لا أبكي وقد مُنع أبي من الماء الذي هو مطلق للوحوش والسباع))[٥٦]، وكما أنه كان دائماً يقول: ((لقد بكى يعقوب على يوسف وهو لا يعلم أحي هو أم ميت حتى ابيضت عيناه فكيف لا أبكي وقد رأيت أجساد من خيرة آل بيت الرسول تقطع أوصالهم))[٥٧]، وقد وردت رواية عن الإمام الصادق عليه السلام يصف فيها بكاء الإمام زين العابدين عليه السلام حيث يقول: ((البكاؤون خمسة: آدم ويعقوب ويوسف وفاطمة بنت محمد وعلي بن الحسين... وأما علي بن الحسين فبكى على الحسين عشرين سنة وما وضع بين يديه طعام إلا بكى حتى قال مولىً ه: جعلت فداك يبن رسول الله إني أخاف عليك أن تكون من الهالكين. فقال: إنما أشكو بثي وحزني إلى الله وأعلم من الله ما لا

تعلمون))[٥٨]، كما وردت رواية أخرى عن الإمام الصادق عليه السلام يقول فيها: ((إن زين العابدين عليه السلام بكى على أبيه طلة حياته صائماً نهاره وقائماً ليله فإذا حضر الإفطار وجاء غلامه بطعامه وشرابه فيضعه بين يديه فيقول: كل يا مولاي. فيقول الإمام زين العابدين عليه السلام: قُتل ابن رسول الله عطشاناً فلا زال يكرر ذلك ويبكي حتى يبتل طعامه من دموعه ثم يمزج شرابه بدموعه فلم يزل كذلك حتى لحق بالله عزّ وجل))[٥٩] وقد استمد الإمام زين العابدين عليه السلام ثورة البكاء من جدته الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام حين كانت تبكي بشدة على رسول الله صلى الله عليه وآله حتى اضطرت السلطات الظالمة لإسكاتها بحجة أنه لا يطيب لهم الطعام والشراب وعزيزة رسول الله صلى الله عليه وآله تبكي ليلاً نهاراً وبالتالي اضطر أمير المؤمنين عليه السلام لإخراجها إلى البقيع بعد أن بنى لها هناك بيتاً من جريد النخل أسماه بيت الأحزان، وقد كان بكاء الزهراء عليها السلام بهدف تعريف الأمة الإسلامية بعظيم الفاجعة التي حلت بها بفقدان الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله، وإقصاء خليفته الشرعي عن منصبه وتولي الخلافة من قبل أشخاص لا يملكون أي مؤهلات لإدارة شؤون الدولة ويعتمدون على الظلم والطغيان والاستيلاء على حقوق الآخرين لتحقيق مطامعهم الشخصية ورغباتهم الفانية[٦٠].

**٧- إعتاق الموالي والعبيد:-** لقد أولى الإمام زين العابدين عليه السلام عناية خاصة بظاهرة إعتاق الموالي والعبيد، ولاسيما أن الأمويين كانوا ينتهجون سياسة التمييز العنصري ولا يعاملون الموالي والعبيد كسائر الناس ضاربين بعرض الحائط جميع المبادئ والقيم الإسلامية التي حث الله تعالى في كتابه المجيد وأكد عليه الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله، حيث يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾[٦١]، ويقول الرسول صلى الله عليه وآله: ((الناس كأسنان المشط سواء ولا فرق بين عربي وأعجمي إلا بالتقوى))، هذا فضلاً عن استغلال الأمويون لتلك الظاهرة لتنفيذ مآربهم الشخصية الدنيئة ونشر الفساد والبطالة، وبالتالي فإن الإمام زين العابدين عليه السلام كان يشتري الموالي والعبيد ويعلمهم أحكام الدين ويغذيهم بالمعارف الإسلامية ومن ثم يعتقهم لوجه الله تعالى إذ أنه لم يكن يُبقي أي أحد منهم عنده أكثر من سنة واحدة فقط وكان يعتقهم في مناسبات مختلفة، وبالتالي استثمر الإمام هذا العمل في إسقاط السياسة الأموية من خلال إحياء تعاليم الشريعة الإسلامية في تخليص الرقيق وإعطائهم الحرية، هذا فضلاً عن استقطاب ولاء عدد كبير من أولئك الموالي والعبيد وتحقيق

ارتباطهم الوثيق بالإمام عقائدياً وسياسياً[٦٢].

ولم يكتفِ الإمام زين العابدين عليه السلام بإعتاق الموالي والعبيد بل عمد إلى تكريمهم بنفسه، وقد تجلى ذلك بوضوح من خلال قيامه بتزويج مربيته من مولى له وزواجه من مولاة له كان قد أعتقها وبالتالي قد أكد الإمام على تطبيق مبادئ الدين الإسلامي الحنيف في تحقيق المساواة بين البشر، ويروى أن عبد الملك بن مروان عندما علم بتزويج الإمام زين العابدين عليه السلام لمربيته من مولىً له كتب إليه كتاباً يعيره فيه قائلاً: بلغني أنك زوجت أمك من مولاك وقد وضعت شرفك وحسبك. فأجابه الإمام عليه السلام قائلاً: ((إن الله تعالى رفع بالإسلام كل خسيسة وأتم به الناقصة وأذهب به اللؤم فلا لؤم على مسلم إنما اللؤم لؤم الجاهلية وأما تزويجي أمي فإنما أردت بذلك برها))، فلما قرأ عبد الملك كتاب الإمام زين العابدين عليه السلام إليه قال: لقد صنع علي بن الحسين أمرين ما كان ليصنعهما أحد وزاد بذلك شرفاً. ولاشك أن عبد الملك كان يقصد بهذين الأمرين هما إعتاق الإمام زين العابدين عليه السلام لأحد الرقيق وتكريم ذلك المعتوق بتزويجه لمربيته والتي أسماها بأمه براً بها[٦٣].

## المبحث الرابع

## لآلئ مشرقة من بلاغة الإمام زين العابدين عليه السلام

اشتهر الإمام زين العابدين عليه السلام بكلامه ومواعظه التي تنبئ عن بلاغة رفيعة المستوى ذات معاني عميقة، وقد ركز الإمام زين العابدين عليه السلام في كلامه على استخدام أسلوب الإطناب بصورة يعجز اللسان عن وصفها، إذ أن هذا الأسلوب في فلسفة اللغة من أرقى مراتب البلاغة ومن أروع صورها، ومن أهم الآثار المدونة للإمام زين العابدين عليه السلام والتي تشير إلى مدى بلاغته هي الصحيفة السجادية ورسالة الحقوق ورسالة الزهد.

**أولاً:- الصحيفة السجادية:** وهي مجموعة من الأدعية التي أنشأها الإمام زين العابدين عليه السلام في عهد بني أمية، وقد رواها عنه ولداه الإمام الباقر وزيد بن علي عليهما السلام، وقد أملاها الإمام الباقر عليه السلام على ولده الإمام الصادق عليه السلام، بينما ورثها يحيى من أبيه زيد، وأملاها الإمام الصادق عليه السلام على عمر بن هارون الثقفي البلخي حيث حافظ على الصحيفة واعتنى بها وتم تناقلها منه عن طريق الرواة. وقد تميزت الصحيفة السجادية بدرجة عالية من البلاغة والفصاحة والاشتمال على العلوم الإلهية والتي لا يمكن لغير المعصوم

الإتيان بها، هذا فضلاً عن علو مضامينها العرفانية واحتوائها على الأساليب البليغة في الثناء على الله تعالى وطلب عفوه وكرمه والتوسل إليه[٦٤] ولذلك تمت تسميتها باسم "زبور آل محمد"[٦٥]. وقد بث الإمام زين العابدين عليه السلام من خلال الأدعية المذكورة في الصحيفة السجادية بصائر معرفة الله تعالى من خلال الاعتراف بالعجز عن معرفته والتصديق بعلمه وقدرته وصفاته، وقد كانت تلك الأدعية لا تختص بالمؤمنين الصالحين وإنما شملت أيضاً الخاطئين والعاصين، إذ أن الإمام زين العابدين عليه السلام كان يتعمق في أعماق النفس فيثير العقول ويجلو الضمائر ويرفع الحجب ويقمع الشهوات ويتحدى وساوس إبليس فيصل إلى يقظة الضمير وترميم الوجدان[٦٦]. وقد سعى الإمام زين العابدين عليه السلام إلى تحقيق العديد من الأهداف المهمة من خلال الأدعية المذكورة في الصحيفة السجادية وأهمها ما يأتي:

١- طرح المعتقدات الإسلامية والثقافية.

٢- إحياء روح العبادة والتوجه إلى الله تعالى لدى الناس.

٣- إحياء ذكر محمد وآل محمد بعد انتشار عقيدة بني أمية الفاسدة والتي تؤكد على شتم أمير المؤمنين عليه السلام على المنابر.

٤- بيان حق أهل البيت عليهم السلام في الولاية الكبرى، وقد أكد الإمام على ذلك في الكثير من الفقرات المذكورة في أدعيته حيث يقول عليه السلام: ((رب صل على أطائب أهل بيتك الذين اخترتهم لأمرك وجعلتهم خزنة علمك وحفظة دينك وخلفائك في أرضك وحججك على عبادك))[٦٧].

وتحتوي تلك الصحيفة على العديد من المضامين العلمية المصاغة بأسلوب راقي البلاغة وأهم تلك المضامين هي ما يأتي:

**١- اليد صانعة الحضارات:** حيث يقول عليه السلام في دعائه للتحميد لله عزّ وجل: ((الحمد لله الذي ركب فينا آلات البسط وجعل لنا أدوات القبض))، وأهم آلات القبض والبسط لدى الإنسان هما اليدان اللتان تنبسطان وتنقبضان بإرادته وبالتالي تحقيق الحضارات عن طريق العمل والاجتهاد.

**٢- نظرية العرض والطلب:** حيث يقول عليه السلام في دعائه في الاستسقاء: ((اللهم اسقنا غيثاً

مغيثاً... تملأ منه الجباب وتفجر به الأنهار وتنبت به الأشجار وترخص به الأسعار في جميع الأمصار))، حيث إذا هطل المطر ارتوت الأرض ونمت الأشجار وازدادت المحاصيل الزراعية وبالتالي تنخفض أسعارها.

**٣- كروية الارض:** حيث يقول في دعائه في ولوج الليل والنهار: ((يولج كل واحد منهما في صاحبه ويولج صاحبه فيه))، وبالتالي فإن تكرار كلمةً يولج دليل قاطع على كروية الأرض.

**٤- نقل الماء للأوبئة:** حيث يقول في دعائه لأهل الثغور حين يدعو على الكافرين: ((اللهم وأمزج مياههم بالوباء وأطعمتهم بالأدواء))، مما يدل على أن الماء وسط ناقل للأوبئة الفتاكة كالكوليرا والملاريا وغيرها.

**٥- وزن الأشياء:** حيث يقول في دعاءٍ له: ((سبحانك تعلم وزن السماوات سبحانك تعلم وزن الأرضين سبحانك تعلم وزن الشمس والقمر سبحانك تعلم وزن الظلمة والنور سبحانك تعلم وزن الفيء والهواء))، أي أن لكل شيء وزن حتى الفيء والهواء[٦٨].

**ثانياً:- رسالة الحقوق:** وتعد من أهم الوثائق الدينية التي تطرقت إلى المبادئ الحقوقية للاجتماع الإنساني وشرح ماهية الحقوق الإلهية والشخصية والاجتماعية[٦٩]، كما تعد تلك الرسالة واحدة من أعظم المراجع الأساسية في مجال الحقوق حيث تعمل على تحديد المبادئ الأساسية التي يجب الاعتماد عليها في المسائل التشريعية في المجتمعات[٧٠]. وتكمن أهمية هذه الرسالة في أنها صادرة من نفسٍ إنسانية بلغت أعلى مراتب السمو والكمال ألا وهي نفس الإمام زين العابدين عليه السلام، وقد تضمنت الرسالة العديد من المفردات التي جعلتها بمثابة نظام حقوقي متكامل يتسم بالشمولية والإحاطة المتكاملة لكل حركات الفرد، هذا فضلاً عن الاندماج المثير بين الإيقاع الأخلاقي والقالب القانوني[٧١]. وقد سعى الإمام زين العابدين عليه السلام إلى تحقيق العديد من الأهداف المهمة من خلال رسالة الحقوق وأهمها ما يأتي:

١- تقييم النفس البشرية.

٢- تقويم العقيدة والتفكير والسلوك.

٣- حفظ ورعاية الحقوق التي جاء بها الإسلام.

٤- تنظيم حياة الأفراد في المجتمع.

وتحتوي تلك الرسالة على خمسين حقاً موزعة بين حقوق الله تعالى وحقوق النفس وحقوق العبادات وحقوق الأرحام وحقوق سائر الناس (٧٢).

**ثالثاً:- رسالة الزهد:-** وهي رسالة تحمل كلام الإمام زين العابدين عليه السلام بالزهد، وقد تأثر بها الكثير من الأشخاص، حيث يقول أبي حمزة: ما سمعت بأحدٍ من الناس كان أزهد من علي بن الحسين عليه السلام إلا ما بلغني من علي بن أبي طالب. وقد كان الإمام علي بن الحسين عليه السلام إذا تكلم في الزهد ووعظ أبكى من بحضرته. وقد ركز الإمام زين العابدين في تلك الرسالة على وصف الدنيا الفانية وحطامها الزائل، كما حث على تحذير الناس من الإغترار بها وتشجيعهم على العمل بطاعة الله تعالى واجتناب معاصيه، ولعل أبرز المقاطع التي تؤكد على هذا المضمون هي قوله عليه السلام: ((أيها المؤمنون لا يفتننكم الطواغيت وأتباعهم من أهل الرغبة في هذه الدنيا الماثلون إليها المفتتنون بها المقبلون عليها وعلى حطامها الهامد وهشيمها البائد واحذروا ما حذركم الله منها وأزهدوا فيما زهدكم الله فيه منها... فلا تلتمسوا شيئاً مما في هذه الدنيا بمعصية الله واشتغلوا في هذه الدنيا بطاعة الله واغتنموا أيامها واسعوا لما فيه نجاتكم غداً من عذاب الله))(٧٣).

## خاتمة:

لقد حمل الإمام زين العابدين العديد من الصفات التي استحق بها الخلود على مر الأزمان، فقد كان الولد البار والزوج الصالح والعابد المتهجد والقائد الناجح والإمام المعصوم، وقد أدى رسالته في إحياء دين الله عزّ وجل والمحافظة عليه على أتم وجه على الرغم من كل الابتلاءات والصعوبات التي واجهها في حياته ولاسيما الضغط السياسي من قبل الحكومة الظالمة، وقد كان كل ذلك في سبيل إرضاء الله سبحانه وتعالى وإحياء مبادئ دينه الحنيف دون أن تأخذه في الله لومة لائم.

وبالتالي فلابد لكل المسلمين أن يتخذوا الإمام زين العابدين عليه السلام أسوة حسنة في جميع تفاصيل حياتهم، إذ أن في ذلك أحياء لتعاليم دين الله عزّ وجل وترسيخ لعقيدة وفكر أهل بيت النبوة الأطهار عليهم أفضل الصلاة والسلام، وبالتالي الوصول إلى قمة التكامل الإنساني وتوضيح الصورة الأصيلة للإسلام المحمدي بعيداً عن ملابسات التزوير والاحتيال

الإعلامي التي يسعى إليها أعداء الدين.

## هوامش البحث

(١) عوالم العلوم والمعارف، عبد الله البحراني الأصفهاني: ٣.
(٢) أعلام الهداية، المجمع العالمي لأهل البيت: ٢٢.
(٣) الإمام علي بن الحسين زين العابدين، زهير الأعرجي: ٣٥.
(٤) مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب: ٤٢.
(٥) بحار الأنوار، محمد باقر المجلسي: ٣٣.
(٦) سورة هود، الآية: ٧.
(٧) سورة الملك، الآية: ٢.
(٨) أعلام الهداية، المجمع العالمي لأهل البيت: ٣٧.
(٩) قرموا: اشتد شوقهم لتناول اللحم.
(١٠) الإمام علي بن الحسين زين العابدين، زهير الأعرجي: ٣٥.
(١١) آمالي الصدوق، الصدوق: ١٢٠.
(١٢) منهج الإمام السجاد في التوحيد والسلوك والتربية، شلتاغ عبود: ١٢٣.
(١٣) الصحيفة السجادية: ٢٤.
(١٤) الصحيفة السجادية: ٤٦.
(١٥) بحار الأنوار، محمد باقر المجلسي: ٨.
(١٦) الإمام زين العابدين صاحب الصحيفة الربانية، هادي المدرسي: ٢١.
(١٧) الإمام علي بن الحسين زين العابدين، زهير الأعرجي: ٢٣٣.
(١٨) أعلام الهداية، المجمع العالمي لأهل البيت: ١٢٠.
(١٩) أعلام الهداية، المجمع العالمي لأهل البيت: ١٢٣.
(٢٠) سورة المؤمنون، الآية: ١٠١.
(٢١) بحار الانوار، محمد باقر المجلسي: ٤١.
(٢٢) الكافي، محمد يعقوب الكليني: ١٢٠.
(٢٣) الصحيفة السجادية: ١٠٢.
(٢٤) الإمام علي بن الحسين زين العابدين، زهير الأعرجي: ١٧٧.
(٢٥) أعلام الهداية، المجمع العالمي لأهل البيت: ١٠١.
(٢٦) بحار الأنوار، محمد باقر المجلسي: ٧.

(٢٧) موسوعة أهل البيت، علي عاشور: ٥٦.
(٢٨) الحياة الفكرية والسياسية لأئمة أهل البيت، رسول جعفريان: ١٧٨.
(٢٩) الإمام السجاد أجمل روح عابدة، علي شريعتي: ١١٦.
(٣٠) أعلام الهداية، المجمع العالمي لأهل البيت: ١١٢.
(٣١) سورة التوبة، الآية: ١١١.
(٣٢) سورة التوبة، الآية: ١١٢.
(٣٣) الحياة الفكرية والسياسية لأئمة أهل البيت، رسول جعفريان: ١٩٤.
(٣٤) سورة الشورى، الآية: ٢٣.
(٣٥) أعلام الهداية، المجمع العالمي لأهل البيت: ٦٥.
(٣٦) الإمام علي بن الحسين زين العابدين، زهير الأعرجي: ٥٣.
(٣٧) جهاد الإمام السجاد زين العابدين، محمد رضا الحسيني الجلالي: ٥٤.
(٣٨) الاحتجاج، الطبرسي: ٣١٥.
(٣٩) فاطمة الزهراء بنت محمد، عبد الزهراء عثمان محمد: ١٤٦.
(٤٠) شرح خطبة الزهراء وأسبابها، نزيه القميحا: ١٩٥.
(٤١) الوراثة الاصطفائية لفاطمة الزهراء، محمد صالح التبريزي، أبحاث الشيخ محمد السند: ٣٤٠.
(٤٢) فاطمة الزهراء من المهد إلى اللحد، محمد كاظم القزويني: ٢٨٦.
(٤٣) الزهراء وخطبة فدك، محمد باقر المجلسي: ٢١٥.
(٤٤) الإمام علي بن الحسين زين العابدين، زهير الأعرجي: ٧٩.
(٤٥) أعلام الهداية، المجمع العالمي لأهل البيت: ٦٥.
(٤٦) فاطمة الزهراء بنت محمد، عبد الزهراء عثمان محمد: ١٤٦.
(٤٧) فاطمة الزهراء من قبل الميلاد إلى ما بعد الاستشهاد، عبد الله عبد العزيز الهاشمي: ٢٩٦.
(٤٨) أعلام الهداية، المجمع العالمي لأهل البيت: ٨١.
(٤٩) المواقف السياسية للأئمة الاثني عشر، نغم حسن الكنعاني: ٤٣.
(٥٠) جهاد الإمام السجاد زين العابدين، محمد رضا الحسيني الجلالي: ٨٠.
(٥١) أعلام الهداية، المجمع العالمي لأهل البيت: ١١٠.
(٥٢) الإمام علي بن الحسين زين العابدين، زهير الأعرجي: ٢٠٥.
(٥٣) أعلام الهداية، المجمع العالمي لأهل البيت: ١١٠.
(٥٤) جهاد الإمام السجاد زين العابدين، محمد رضا الحسيني الجلالي: ٨٥.
(٥٥) سورة الشورى، الآية: ٢٣.
(٥٦) أعلام الهداية، المجمع العالمي لأهل البيت: ١٥٢.
(٥٧) الحياة الفكرية والسياسية لأئمة أهل البيت، رسول جعفريان: ٢٠٢.

(٥٨) آمالي الصدوق، الصدوق: ١٥٤.
(٥٩) الإمام علي بن الحسين زين العابدين، زهير الأعرجي: ٢٠٥.
(٦٠) أم مقامات الزهراء، حسن العالي: ٤٦٦.
(٦١) سورة الحجرات، الآية: ١٣.
(٦٢) أعلام الهداية، المجمع العالمي لأهل البيت: ١٥٥.
(٦٣) الإمام علي بن الحسين زين العابدين، زهير الأعرجي: ١٨٨.
(٦٤) الإمام علي بن الحسين زين العابدين، زهير الأعرجي: ٣٤٩.
(٦٥) عوالم العلوم والمعارف، عبد الله البحراني الأصفهاني: ٣١٣.
(٦٦) الإمام زين العابدين صاحب الصحيفة الربانية، هادي المدرسي: ٤٧.
(٦٧) الحياة الفكرية والسياسية لأئمة أهل البيت، رسول جعفريان: ١٩٧.
(٦٨) الإمام علي بن الحسين زين العابدين، زهير الأعرجي: ٣٦٠.
(٦٩) الإمام علي بن الحسين زين العابدين، زهير الأعرجي: ٤١٢.
(٧٠) الإمام زين العابدين صاحب الصحيفة الربانية، هادي المدرسي: ٤٨.
(٧١) القانون الأخلاقي في رسالة الحقوق، قدرت الله مشايخي: ٢٠.
(٧٢) عوالم العلوم والمعارف، عبد الله البحراني الأصفهاني: ٣١٦.
(٧٣) الإمام علي بن الحسين زين العابدين، زهير الأعرجي: ٤٤٧.

## قائمة المراجع والمصادر

### المراجع:


- القرآن الكريم.
- الصحيفة السجادية.


### المصادر:


- الاحتجاج، أحمد علي الطبرسي، ١٣٨٠هـ، منشورات الشريف الرضي، طهران - إيران.
- أعلام الهداية الإمام علي بن الحسين زين العابدين، المجمع العالمي لأهل البيت، ١٤٢٥هـ، مطبعة ليلى، قم المقدسة، إيران.
- أم مقامات فاطمة الزهراء عليها السلام في الكتاب والسنة، حسن العالي، ٢٠١٥م، دار الكوخ للطباعة والنشر، طهران، إيران.

- أمالي الصدوق، محمد بن علي الصدوق، ٢٠٠٩م، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان.
- الإمام السجاد عليه السلام أجمل روح عابدة، علي شريعتي، ٢٠٠٧م، دار الأمير للثقافة والعلوم، بيروت، لبنان.
- الإمام زين العابدين عليه السلام صاحب الصحيفة الربانية والآلام المضيئة، هادي المدرسي، ٢٠٠٤م، دار القارئ للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.
- الإمام علي بن الحسين زين العابدين، زهير الأعرجي، ٢٠٠٤هـ، مركز التحقيقات والعلوم الإسلامية، مطبعة ستارة، طهران، إيران.
- بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، محمد باقر المجلسي، ١٤٢٠هـ، مؤسسة إحياء الكتب الإسلامية، قم المقدسة، إيران.
- جهاد الإمام السجاد زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام، محمد رضا الحسيني الجلالي، ١٤١٨هـ، دار الحديث، الكويت.
- الحياة الفكرية والسياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام، رسول جعفريان، ١٩٩٤م، منشورات دار الحق، بيروت، لبنان.
- الزهراء عليها السلام وخطبة فدك شرح الخطبة الفدكية، محمد باقر المجلسي، ٢٠٠٣م، دار كلستان كوثر، طهران، إيران.
- الزهراء فاطمة بنت محمد عليها السلام، عبد الزهراء عثمان محمد، ١٩٦٩م، مطبعة النعمان، النجف الأشرف، العراق.
- شرح خطبة الزهراء عليها السلام وأسبابها، نزيه القميحا، ١٩٩٥م، دار الفكر، بيروت، لبنان.
- عوالم العلوم والمعارف الإمام علي بن الحسين عليه السلام، عبد الله البحراني الأصفهاني، ١٤٠٧هـ، مطبعة أمير، قم المقدسة، إيران.
- فاطمة الزهراء عليها السلام من المهد إلى اللحد، محمد كاظم القزويني، ٢٠٠٤م، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.
- فاطمة الزهراء عليها السلام من ما قبل الميلاد إلى ما بعد الاستشهاد، عبد الله عبد العزيز الهاشمي، ٢٠١٠م، مطبوعات دار الأندلس، بيروت، لبنان.
- القانون الأخلاقي في رسالة الحقوق للإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام، قدرت الله مشايخي، ١٤٣٢هـ، مؤسسة أنصاريان للطباعة والنشر، قم المقدسة، إيران.

- الكافي، محمد يعقوب الكليني، ١٤٠٧هـ، دار الكتب الإسلامية، طهران، إيران.
- مناقب آل أبي طالب، محمد بن علي بن شهر أشوب، ١٣٧٦هـ، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، العراق.
- منهج الإمام السجاد عليه السلام في التوحيد والسلوك والتربية، شلتاغ عبود، ٢٠٠٢م، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.
- المواقف السياسية للأئمة الاثني عشر عليهم السلام، نغم حسن الكنعاني، ٢٠٠٩م، دار الرافد للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.
- موسوعة أهل البيت عليهم السلام، علي عاشور، ١٩٧٠م، دار نظير عبود، بيروت، لبنان.
- الوراثة الاصطفائية لفاطمة الزهراء عليها السلام، محمد صالح التبريزي، أبحاث الشيخ محمد السند، ٢٠١٦م، مكتبة فدك، مؤسسة محكمات الثقلين، قم المقدسة، إيران.